

تاوانات نيوز -- عبدالله عزوزي

الأصل عند المغاربة هو الإختلاف، و الإتفاق أو الإجماع قد يكون مجرد استثناء عابر ... فلقد اختلفوا مؤخراً حول "النوايا الدفينة لحركة 20 فبراير"، كما اختلفوا حول مدى صوابية إصلاحات الإقتصادية و الإجتماعية التي قام بها بنكيران إبان و لايته الحكومية (2016-2012). فإن اختلفوا حول المنضال المجاد و تسيير المشأن الوطني المسؤول، فلا أحسبهم أنهم سيتفقون في ظاهرة تضع المقرح و الفرغ وجها لوجه، بل تجعلهما أحياناً كثيرة و جهان ليلية و احدة.

الظاهرة التي أقصد هي ظاهرة الإحتفال بالمأعراس في مدينة تاوانات بشكل علني و شامل (نسبة "لأسلحة" الدمار المشامل)، يمتد من بعد صلاة المغرب مباشرة إلى حدود ما بعد آذان الفجر. قد لا يكون هناك إجماعاً حول إدانة الظاهرة، خاصة و أن الأمر مرتبط، عند البعض، بالحق في الإحتفال، و الحرية في الإحتفاء بمى يسمى شعبياً ب"ليلة العمر".

في مدن عديدة من المملكة، أصبحت ظاهرة إحياء حفلات الأعراس فوق أسطح المنازل و العمارات- و ما يرافقها من مظاهر تضرب حرية و راحة الغير عرض الحائط، دون مراعاة لظروف الجيران التي قد يكون ضمنها الحزن بسبب فقدان قريب، أو مرض إنسان، أو هشاشة عجوز أو رضيع، أو موعود طالب علم مع امتحان أو مقابلة توظيف - جزءاً من الماضي، بعدما راكمت تلك المدن و لايات مُتعددة من التدبير الجماعي و الإقتصادي، بحيث أصبح الناس يفكرون في الإحتفال بزيجاتهم في قاعات المحفلات العمومية التي غالباً ما تكون في أماكن بعيدة عن السكان، توفيرا لراحة النائمين و محاصرة للتلوث الصوتي (pollution Noise).

غير أن الأمر في تاوانات، فيما يخص الأعراس، لا زال يقول الكثير عن الوعي الجماعي لدى ساكنة هذه المدينة، دون أن يغفل الإشارة بأصابع "القصور" إلى السلطات المنتخبة، و المعينة على حد سواء، في قدرتها على تدبير الآثار السيئة لمكبرات الصوت التي تشرع في الاشتغال بمجرد غروب الشمس، و لا يجبرها على التوقف إلا فلق الصباح و تعب المساهرين و المساهرات.

فمع بداية فصل الربيع لهذه السنة، مرت لحدود اليوم عشرات المحفلات أحييتها "أصوات رجالية و نسائية مسجلة على أقراص"، تضرب، و لكنها لا تطرب، ولن يكون عملها محموداً حتى و إن أطربت، ما دام الليل في السنن الكونية و البشرية هو للراحة و تجديد النشاط من أجل الإستعداد لعمل اليوم الموالي، أو لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً.

فتقافتنا، التي نقول عنها أنها إسلامية، و أمدتنا بالخيوط العريضة لفهم الحياة و استيعاب حقائقها، يبدو أن معتنقها قد غضوا الطرف عن انتهاكات مزامير جيرانهم، دون أن نستطيع معرفة السبب وراء ذلك. هل لأنهم سقطوا ضحايا المطرب الجهري، أم احتراماً لحاجة جيرانهم في التعبير عن فرحتهم، أم أنهم ينتظرون أن تتحرك العمالة لتأطير المشهد (بمذكرة عاملية تحدد الحدود الدنيا للمرونة) على شاكلة الطريقة التي أطربت بها الدولة الحقل الديني و التظاهرات و المظاهرات، و التجمهرات السلمية الغير المرخصة، خاصة و أن بواذر "العام زين" تنذر بليالي ساخنة و صاخبة في المقادم من الأيام و الشهور.

هذا، و يستحيل أن تجد في ما يسميه المغاربة ب"دار الكفر"، كأمریکا و كندا و أوربا، عائلة مسيحية تصعد لسطح منزلها (المغير موجود أصلا) و تنصب بطاريات لإطلاق الأصوات كما لو أنها في حرب تحرير للإنسان و المكان. فهي لن تفعل لأنها تُدرك جيدا أن الأمر ليس محمودا، و لنا مقبولنا، لنا في ميزان الدين و لنا في ميزان المواطنة.

